كلمة صاحب الجلالة في الفريق البرلماني للتجمع الوطني للأحرار

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة

تعلمون كلكم ان والدنا محمد الخامس طيب الله ثراه منذ سنة 1944 وهو ينادي بخلق نظام ملكية دستورية يعيش تحت ظلها المغاربة في الحال والمآل.

وحينما نادى وأشاد — رحمه الله — بهذا النظام، كان كعادته يرى الرؤية البعيدة المدى، تلك الرؤية التي تجعل المغرب حرا في كل التناقضات، واكبر التناقض الذي كان يمكن ان يلحق المغرب هو بقاؤه على نظام دستوري تقليدي، ووجوده جغرافيا في ممر البحار وممر القارات وادرك رحمه الله خطر نظام لا يتساكن مع المغرب المفتوح إذ لا ننسى ان المغرب بلد مفتوح، ولا بد ان يبقى مفتوحا.

فبمجرد ما تقلدنا منصب الامانة والسهر والرعاية اردنا قبل كل شيء ان نفي بعهد والدنا، فلم ننتظر ان يطالب المغاربة بدستور، بل فكرنا في الموضوع، وحاولنا ان نصوغ دستوراً يتلاءم مع التقاليد المغربية، ومع المزاج المغربي كذلك والانسية المغربية.

ولا يخفى عليكم أن والدنا المرحوم طيب الله ثراه كان قد هيأنا بدراسات مفيدة من هذا النوع، وكان — رحمه الله — قد وجهنا الى دراسات القانون العام.

وها انتم ترون ان هذا الدستور الذي وضع اوله عام 1963 مازال يقبل التغييرات والتحسينات.

ومن ادوات الدستور، او هياكل هذا الدستور، البرلمان ؛ فما هو دور البرلمان في الحقيقة ؟ دوره هو التعبير المخلص الوفي عن رغبات السكان او التعبير عن مطالبهم محلياً ووطنياً.

ولا يعقل ان يكون هذا البرلمان خصما وحكما معاً، فكل برلمان لا يمكن ان يقوم بدوره الواجب واللازم به الا اذا كانت هناك طائفة تقول وطائفة تنتقد.

ونحن في المغرب نأخذ مع الاسف التعابير بخفة واستخفاف، وعندما نذكر لفظ المعارضة يخطر في الحين ان المعارضة للمؤسسات، وهذا غير معقول.

ففي اروبا وجميع الدول البرلمانية لا يوضع في الميزان او على بساط المناقشة النظام الذي اختارته الدولة، واذا كانت المعارضة فانها تتمثل في الانتقاد البناء الايجابي للبرنامج الحكومي او للتطبيق، ففي بعض الاحيان يكون البرنامج جيدا ولا يكون التطبيق جيداً.

وما دام المغاربة اختاروا النظام الملكي فلا يمكن ان يخطر بالبال ان يكون فريق او رجل في البرلمان ضد النظام الذي اختارته الامة.

حاولت ان لا يكون فصل السلط في مستواي، لأن كل المغاربة يستظلون بظل امير المؤمنين ويذهبون للتحاكم تحت ظل رمحه ليدافع عنهم.

فاذن هذا تقليد خلقناه انه في مستوى ملك المغرب لا يوجد فصل السلط، لهذا شاهدتموني مراراً اجمع الوزراء، وبعض اللجان البرلمانية ؛ واخاطبهم امامي كأنهم لا فرق بين سلطة تنفيذية وسلطة تشريعية.

فالديمقراطية الحسنية لا تكون كاملة ولن أكون مطمئنا اذا لم اعلم المغاربة ان يمارسوا المعارضة لحكومة ملك المغرب.

واليوم الذي اضيف فيه هذه الحلقة في الديمقراطية الحسنية، عند ذلك اكون قد شعرت بانني اديت واجبي على الوجه الاكمل.

واذا كنا سنمارس المعارضة، فعند من سنذهب ؟ سنذهب عند أولئك الذين يقولون نحن قبل كل شيء خدام جلالة الملك ونحن للمغاربة كلهم.

قلت مع نفسي اذا كانت هناك تجربة فهي تجربة خطيرة جداً، وليست خطيرة لانها تحتوي على أخطار بل لأنه لابد لها ان تنجح، وتظهر بأنه يمكن للانسان ان يكون في المعارضة ويكون لبقاً وسياسياً ومؤدباً، وفكره ثاقباً وملماً بملفاته اكثر من بعض الوزراء الذين وراءهم ادارة بأكملها ولكنهم مكتوفي الأيدي وساكتون.

ولهذا اذا كنا سندخل من الباب الى المعارضة البناءة الرفيعة، فيجب ان نظهر منذ الاول في مستواها وفي حجمها وفي عمقها.

والحقيقة ان جميع المؤهلات التي تجعلكم تسيرون في هذه التجربة موجودة، فبمجرد ما تسمون انفسكم معارضة لحكومة جلالة الملك وتكون معارضة داخلة في اطارها الدستوري، عند ذلك يكون من الواجب علي — كما اعين الحركات الاخرى وكما اعين الرجال الموجودين في الحكومة — ان أعين الناس الموجودين في معارضة حكومة جلالة الملك.

اظن ان هذا موضوع اما فهمتموه، واما لن نفهمه بالمرة، فلهذا لن اطيل عليكم لأنكم على علم بكل شيء وتفهمون كل شيء، لكن هذه تجربة تحتاج الى الممارسة، ولي اليقين ان كل وزير يتوفر على ضمير مهني سيجد الآن لذة كل يوم خميس عند ما تكون مناقشة الاسئلة الشفوية او يجد نشوة في اجابتكم كتابة عن سؤال مكتوب فيما يخص برنامج هذه الوزارة، او عمل تلك الوزارة، ولنشاهد مثلا الناس الذين يمارسون الرياضة، فاذا كان الانسان يلعب كرة المضرب وقابله انسان لا يلعبها جيداً ولو كان ذلك اللاعب ماهراً فانه يفقد مهارته، اما اذا وجد من يلعب معه في مستواه فسيرتاح، حقيقة اذا نظمتم انفسكم بهذه الكيفية وتقريبا مثل حكومة الظل في انكلترا، فيجب ان يكون عندكم وزير فلاحتكم، ووزير ماليتكم، ووزير تعليمكم ؛ اي تقريبا يحكومة تهيء الملفات، بحيث سترون معارضة مع حكومة ستصبح حقيقة متعة ان ينصت الانسان للمداولات.

نقطة اخيرة قبل ان اختم حديثي، وهذا الشيء بالطبع يتطلب النفس الطويل والاستمرارية في حضور اكبر عدد ممكن من النواب في الفريق، ولا سيما انكم ستدخلون البيوت من ابوابها، اول فرصة ستأتيكم في المعارضة هي القانون المالي الذي هو في الحقيقة المرآة العامة والخاصة لسياسة الدولة، لأن سياسة الدولة ستظهر من خلال القانون المالي.



فلنطلب منكم الجدية وعدم الديماغوجية، لأنه اذا مارستم اليوم الديماغوجية وانتم في المعارضة، فغداً يمكن ان تصبحوا في الحكومة، والذي ستقولونه سيسجل عليكم، فلهذا يجب ان تقولوا ما سوف يعود عليكم وانتم في منصة قيادة الامور.

وأنا شخصيا متفائل، بمعنى أن يكون كل يوم خميس يوماً جيداً، والحمد لله لم يصدر منا الا الخير لهذا البلد، ولا اعتقد ان الله سيضيع المغرب في هذه الجماعة ويضيع التجربة المغربية في اعضائها الموجودين هنا، وأطلب لكم التوفيق، وبابي مفتوحاً ولن يكون الا الخير.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقيت بفاس

الخميس 14 محرم 1402 — 12 نونبر 1981